هيكل عظمى !...

للأستاذ على الطنطاوى

[كنت أمس عند قريب لى يمارس صناعة الطب ؛ فخرج لبعض حاجته ، حتى أطال الغياب ، وتسرب إلى الليل ، فقمت إلى خزانة كانت حيالى ، فقلت : لعل فيها كتاباً أقرؤه فما راعنى حين فتحتها إلا هيكل عظمى معلق بسقف الخزانة ... وإلى جانبه هيكل ثان ...]

... من أنت أيها الانسان الذى انتهى به الأمر إلى أن يحبس فى خزانة ، ويلبث الدهر معلقا بسلكة ، ويعد متاعا من المتاع ؟ أأنت رجل أم امرأة ؟ أغنىّ أم فقير ؟ أملك أنت أم مملوك ؟ .....

هل كان فى هاتين الحفرتين البشعتين عيون ساحرات الطرف ، يفتن ذا اللب حتى لا حراك به ، ويفعمان بالألباب ما تفعل الخمر ؟ وهل كان على هذا الثغر المخيف شفاه لعس ، تأخذ دنيا البخيل بضمة على شفتيه ، ويبذل حياته الجبان فى قبلة منها ؟ وهل كان على هذا القفص العظمى صدر بلورى ، يضيع بين ثديه عقل العالم ، ويذهب فيه لبّ الحليم ، وينسى امرؤ أسند اليه رأسه الدنيا وما فيها ؟ هل كانت هذه العظام المستطيلة المرعبة سواعد بضة ، وأنخاذا رجراجة طالما أثارت من هوى وأذكت من خيال وطالما أنطقت بالشعر الشعراء ؟ أكنت أيها الانسان امرأة فاتنة جميلة ؟

وهذا الانسان الآخر ؟ هل كان عشيقك أيتها الفتاة ؟ اعترفى فلا بأس عليك اليوم ؟ هل كان يهيم بك حبا ، ويحيا الليالى يحوم حول منزلك ، أو يَرقب شرفتك فاذا رأى شارة منك أو أبصر على الشرفة ظلّك أو لمح طرف ثوبك الأبيض أو الأصفر أو ... أو « الأرجوانى » انصرف وهو أسعد الناس حالاً ، وراح يحبر فيك « المقالات » ، وطفق يرى صورتك التى نسجها من خيوط حبّه ، لا صورتك التى هى لك : طفق يراها فى السماء التى يرنو إليها ويعدّ نجومها . وفى صفحة الكتاب الذى يفتحه وينظر فيه . وبين أغصان الأشجار التى تمتد إلى شرفته . وحيثما تلفت أو نظر « تلوح له ليلى بكل سبيل » ؟

أم كان هذا الانسان شابا غضّ الشباب طرى العود ، ينظر بعيون الغيد ، ويتثنى كأنه قضيب بان ، ويتكلم بصوت لين المكاسر ، كأن ألفاظه ورقاته غادة أخرى تميل وتتدلل ، ولم يكن يحبّك أو يفكر فيك ، أو يفتش هو الآخر على من يحبه ويفكر فيه ...

* * *

أم كنت أيها الانسان ملكا يضيء على مفرقه التاج المحلى بالدر ، ويلمع تحته السرير المصنوع من الذهب ، إذا أمر تقاتلوا على السبق إلى طاعته ، وإذا اشتهى شيئاً أسرعوا إلى تحقيق شهوته ، وإذا مرض لم يكن للناس حديث إلا حديث مرضه ، وإذا أبلّ لم يكن سرور إلا ببشرى إبلاله ، وإذا قام أو قعد أو قدم أو ذهب لهجت الألسن بقيامه وقعوده ، واشتغلت الصحف بذهابه وقدومه ، وإذا مشى فى الطريق لم يمش على رجليه كما كان يمشى أبونا آدم عليه السلام ، وكما تمشى ذريته ، ولكنه يمشى على رءوس الناس الذين يحسون لفرط الاجلال أو لفرط السخط بأنه يمشى على رءوسهم جميعاً ؟

أم كنت أيها الانسان مملوكا حقيراً عاش على هامش الحياة ، ودفن فى حاشية المقبرة ، فلم يحس أحد بحياته ، ولم يدر أحد بمماته ، ولعل حياته أشرف حياة لأنها حافلة بالفضائل ، مترعة بالشرف ، فكان يكدح طول نهاره . ليحصل خبزه وخبز عياله ، فيأكله مأدوماً بعرق جبينه ، لا يؤذى أحداً ، ولا يسرق مال الدولة ، ولا يتخذ وظيفته جسراً إلى تحقيق شهواته ، وتحصيل لذاته ، ولعل موته أشرف موت ، لأنه مات مجاهداً وسط المعمل ، وسقط وفى عينيه الغول

هى قواعد العلم والفن والأدب المنقود ، وأنه لا يمكن وضع قواعد خاصة للنقد من حيث هو فن خاص ، وإنما له شروط — والشروط غير القواعد — وهى لا تكاد تخفى معرفتها على أحد من كثرة مانوه بها الكاتبون فى هذا الموضوع

أقول قولى هذا وأنا خجل من نفسى ومن الناس أن أناقش أستاذاً كبيراً فى رأيه حول موضوع ليس لى من الخبرة به عشر معشار ماله ، ولكننى أضع رأيى بين يديه ليدلنى على مكان الخطأ منه ، وليتفضل ببيان أوسع عن رأيه اذا بقى مصراً عليه ولحضرته منى الشكر الجزيل

(القدس — فلسطين) داود حمدان

انظر ياصديقي ! التفت إلى يمينك . إن الملك الذى طالما خفته وأكبرته وأعظمت زينته وبزته وشارته وحليتـه ، فلت عن طريقه ولم تجرؤ أن يرفع نظرك الى طلعته الكريمة .. إنه معك فى هذه الخزانة قد نزع عنـه ثوب الملك والبهاء . وعاد مثلك : لا الملك دام له ولا دام الغنى !

* * *

هل كنت أيهـا الانسان رجلاً عفيفاً مستقيما ، أم كنت لصاً خبيثاً ؟ اعترف : إنه لن يضرك اليوم اعتراف ، هل كنت لص أعراض تلبس ثوب التاجر ، أو ترتدى حلة الموظف أوتتيه ببردة الغنى . كم من الأعراض سطوت عليه باسم الوظيفة أو بصلة الصداقة ، أو ولجت اليه من باب «السفور المهتك» ؟

أم كنت لصاً رسمياً لا سبيل للقانون عليه ، لأنه يسرق من الناس ويسكتون . لأنهم يريدون أن تمشى أعمالهم . ويسرق من الخزينة بأسناد مصدقة !

أم كنت لص أدب ، تسرق فكرة الفيلسوف وصورة الشاعر وموضوع الكاتب ، فتلبسها ثوباً من أثوابك الخسيسة الممزقة ، ثم تخرج بها على النـــاس على أنها بنت خيالك ووليدة عقلك !

أم كنت مظلوما ولم تكن لصا ولم تحترف السرقة ، ولـكن رأيت صبية مشرفين على الموت من الجوع ، وأسرة كادت تودى من أجل رغيف ، ورأيت حقك فى بيت مال الأمة ، قد سرقه السادة الأكابر فغطيت وجهك حياء ، وأخذت رغيفا ليس لك ، فثـار بك المجتمع وقامت عليك الصحف ، وتعلق بك القانون حتى استاقك الى السجن ، فمت فيه مفجوعا بشرفك وأولادك !

اقترب أيها المجرم . أدن أيها الشهيد ، تعال انتقم ، هذا هو القاضى الذى حكم عليك ، لأنك سرقت رغيفا تعيش به أسرة ، ثم خرج يخترق الصفوف ، صفوف الشعب الذى اجتمع ليشهد انتصار الحق وظفر العدالة ، فلما رآه خياء وهتف له حتى بح صوته ، وصفق حتى احمرت كفاه ، فلما ابتعدوا لم يعد يراه أحد مد يده التى حمل بها (مطرقة العدل) فأخذ ثمن وجدانه الذى باعه ، أخذ الرشوة ... تعال انتقم . إن القاضى والمجرم قد التقيا وزالت من بينهما الفروق !

* * *

أم أنت أيها الانسان جندىّ صاحوا به : الوطن فى خطر ! الحضارة مهددة بالزوال ! لقد أوشك أن يموت الحق وتذهب الفضيلة ! فاشتعلت الحمية فى رأسك ، والتهب الدم فى عروقك ، وقدحت عيناك بالشرر ، فتركت أمك المسكينة ليس لها بعدك إلا الله ، وأسلمتها إلى الحزن الطويل ، والثكل القاتل ، وأولادك الذين تعلقوا بك يصيحون : بابا .. بابا .. أسلمتهم إلى اليتم والفقر والبؤس ، وذهبت تلبى نداء الحق والفضيلة ، وتخلص الحضارة ، وتنقذ الوطن .. فنمت على الجثث ، وتجلببت باللهب ، وتوسدت القنابل ، حتى إذا أدركك أجلك سقطت صريعاً ، وأقبل رفاقك يدوسون على جثتك ، لا يجدون وقتاً لازاحتها ودفنها ، لأنهم يخافون إذا أبطأوا ألا يدركهم الموت فى سبيل الانسانية ... فلما ماتوا جميعاً ربحت الانسانية وساماً زين صدر القائد ، وصفحة فى تاريخ العدوان ، وثبت كرسى طاغية من الطغاة . أو استقرت مكانة حزب من الأحزاب ، أما الأطفال الأيتام والعجائز الثاكلات ، فحسبهم عوضاً من آبائهم ، وحسبهن بدلاً من أبنائهن التمتع برؤية موكب القائد الظافر

أم أنت أيها الانسان القائد نفسه ، قد جرّد صدره من الأوسمة والشارات ، وجسمه من الحلة المزدانة بالقصب ، ووجهه من الأنف والعينين ، وعاد قفصاً من العظام ، لا يمتاز من أصغر جندى وأحقر صعلوك ، فلم يعد لك تانك العينان اللتان تبرقان ، فترتجف لبريقهما أقسى القلوب ، وذانك الشاربان القاتمان كساريتى مركب ، وذلك الصوت القوى ، الذى كان يصيح بالجنود : إلى الأمام ! أى إلى الموت ... إلى الثكل ... إلى اليتم ... إلى الحرب . « جحيم الحياة الدنيا » !

وأنت أيها الآخر . أأنت ذلك الجندى ، مالك تقف جامداً ؟ هذا قائدك ، ألا تضم شفتيك ، وتثبت بصرك ، وتروى ما بين عينيك ، وتأخذ هيئة الجـد لتؤدى التحية العسكرية ، ويحك ! أما أنت جندى ؟ امرأة أنت ، أأنت عشيقة القائد العظيم ، رآك منصرفة من المعركة التى طوّح فيها بالمئات من شباب أمته فى سبيل العدوان على بقعة ليست له أو إعطائها إلى غير أصحابها ،

ومنحها للبعض الطارئين من الشعوب الذليلة المسكينة ، فـأتوا كلّهم ولم يقـدروا على شيء ، لأن للحق قوة كقوة النار والحديد ، أأنت التي اخترقت سهام لحظها هذا القلب الذي طالما هزئ بالقنابل والمدمرات ، فجاء يصب جبروته على قدميك ، وأصبح هذا الذي يصرف عشرات الألوف من الكماة المستلئمين تصرفينه أنت وتجرّينه من زمامه ، حتى صار يفكر فيك وهو في ساحة الحرب ، يزلزل الأرض تحت أقدام أهلها ، ويتأمل صورتك والعدوّ على أبواب معسكره لا يخاف عليه أن تحيله الأعداء ، ما يخاف عليك أن تمص لمـاك غير شفتيه ، أو يضمّ جسمك غير ذراعيه ...

اقترب يا سعادة القائد ، اقترب منها ، فضمها واشرب لماها . إنها هي التي تحب !

* * *

أم أنتما رجلان ؟ أعدوّان أنتما أم صديقان ؟ أكان بينكما مسافة على الأرض ومسافة في الزمان ، أم أنتما رفيقان متلازمان ؟ هل التقيتما في معمل ، أو عملتما في منجم ، أو اشتغلتما في ديوان ، أو اصطحبتما إلى الحرب ، أو تجاورتما في السـوق ؟

أم كنتما مضطجعين في قصريكما المتقابلين ، قد مللتما من التسلية ، وشبعتما من الحب ، فأنتما تدفعان العمر دفعاً ، لا تتنازلان أن تنظرا من النافذة إلى هؤلاء البؤساء الذين يشتغلون دائماً وأبداً ، كأنهم آلات تدور ، تحت الشمس في الصيف ، وتحت المطر في الشتاء ، وفي الحرّ وفي الزمهرير ، وفي الصحة وفي المرض ، ليأخذوا بعـد ذلك الواحد وتأخذوا أنتم التسعة والتسعين ، مكافأة لكم على غصبكم حريتهم وسفككم إياها ، وزرايتكم عليهم ، فتنفقوها على الموائد الخضر ، وفي كؤوس الخمر ، وعلى الشقر والسمر ... ثم إذا خرجتم تمسحوا بأذيالكم ، وقبلوا السياط التي تلهبون بها ظهورهم !

* * *

من أنتما أيهـا الانسانان ؟ وما شأنـكما ؟ أأنتما هنا لتقولا : إن الملك والغنى ، والمجد والجاه ، والفتنة والجمال ، كل أولئك أثواب تلبس وتخلع ؟

فأيّ معنى — إذن — لقصائد ساداتنا الشعراء العاطفين ؟

(دمشق) علي الطنطاوي

الحجاب في الاسلام

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

من علماء الأزهر

— ٢ —

أما غير أمهات المؤمنين من نساء المسلمين فلم يفرض عليهن هذا الحجاب الذي فرض عليهن ، لأن فرضه عليهن كان للغرض السابق الخاص بهن ، وقد ترك الاسلام أمر هذا الحجاب للرجل وزوجه ، يجريان فيه على ما تقتضيه المصلحة التي تختلف باختلاف النساء ، وشأنه في هذا شأن غيره من الأمور التي تركها الاسلام لحكم العرف والعادة وغيرها

ولهذا كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليـه وسلم من جرى مع نسائه على ترك تقييدهن بشيء من أمر هذا الحجاب كالزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وعبد الله بن جعفر وغيرهم . وكان منهم من جرى على تقييد نسائه به مثل ما قيدت به أمهات المؤمنين ، وقد ورد من هـذا أن سلمة بن قيس أرسل رجلاً إلى عمر يخبره بواقعة من الوقائع ، فلما قدم له عمر الطعام نادى امرأته أم كلثوم بنت علي : ألا تأكلين معنا ؟ فقالت له : لو أردت أن أخرج إلى الرجال لكسوتني كما كسا ابن جعفر والزبير وطلحة نساءهم

ولعل الزبير كان يفعل هـذا مع زوجه أسماء بنت أبي بكر ، فقد تزوج بعدها عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل ، وكانت امرأة عجزاء بادنة ، ولها جمال وكمال وتمـام في عقلها ومنظرها وجزالة رأيها ، وهي التي يقول فيها عبد الله بن أبي بكر :

أعاتكُ لا أنساكِ ما ذرّ شارقٌ ... وما ناح قُمْريُّ الحمام المطوّقُ
أعاتكُ قلبي كلَّ يوم وليلةٍ ... لديك بما تخفي النفوسُ معلّقُ
لها خُلُقٌ جزلٌ ورأيٌ ومنطقٌ ... وخَلْقٌ مَصُونٌ في حياء ومصدق
فلم أرَ مثلي طلّق اليومَ مثلها ... ولا مثلها في غير شيء تطلّقُ

وكانت عاتكة تحت عبد الله فشغل بها ، وغلبته على رأيه ، فمر عليه أبو بكر أبوه وهو في علية يناغيها في يوم جمعة ، وأبو بكر متوجه إلى الجمعة ، ثم رجع وهو يناغيها ، فقال يا عبـد الله أجمعت ؟ قال أوصلى الناس ؟ قال نعم ، فقال له أبو بكر : قد شغلتك عاتكة عن المعاش والتجارة ، وقد ألهتك عن فرائض